كلمة

سعادة البروفيسور

عبد السلام محمد الشدّادي

الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية

للدراسات الإسلامية لعام 1429هـ/2009م

الحفل الحادي والثلاثون
السبت 1430/4/1هـ الموافق 2009/3/28م

بسم الله الرحمن الرحيم

خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز
أصحاب السمو الأمراء
أصحاب الفضيلة والمعالي والسعادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن نيل مكافأة للعمل الذي كرَّس في سبيله المرء جزءاً كبيراً من حياته ومجهوداته لبليغ الأثر في النفس، مهما كان الشخص. فالمرء يشعر آنذاك أن العمل الذي قام به في حالة الانفراد والعزلة يستجيب إلى حاجيات وقيم مشتركة. وعندما يتعلَّق الأمر بجائزة ذات صيت عالمي مثل الجائزة العالمية للملك فيصل، فإن الانفعال يكون أبلغ وأشد بسبب القيمة العالية لتلك الجائزة لا على المستوى العربي فحسب بل على المستوى العالمي.

أود أن أوجه شكري العميق وامتناني إلى جميع أعضاء الهيئة المناط بها مهمة اختيار الفائزين بالجائزة، وبخاصة رئيسها سمو الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز، أشكرهم جميعاً وأنا فخور بالاختيار الذي وقع علي، وفي الوقت ذاته واع كل الوعي، بأن الشرف يعود من خلال شخصي الضعيف – كما كان يقول علماؤنا في الماضي - يعود أساساً إلى العلم والعلماء، وبخاصة علم وعلماء البلدان العربية التي أنتمي إليها.

وفي الواقع، إن المغزى الرمزي لجائزة الملك فيصل العالمية بالنسبة للعالم العربي، سيما في الفترة التاريخية التي نمر بها اليوم، لمغزى جوهري. فهذه الجائزة تعطي الدليل على أن العالم العربي في طريق إعادة الارتباط بتقليده العلمي السامي، ذلك التقليد الذي قد جعل لأول مرة في التاريخ الإنساني من العلم نشاطاً كونياً باحتضانه للإرث اليوناني، والإيراني، والعبري،

والسرياني، والهندي، وجزئياً الإرث الصيني، وبتنميته، وبجعله تراثاً للفكر الإنساني بقطع النظر عن كل اعتبار عرقي، أو عقائدي، أو سياسي.

إن الاختيار الذي وقع هذه السنة على موضوع العمران البشري في الثقافة العربية يعزِّز ويوطِّد الرمزية التي تتجسَّد في هذه الجائزة ويدرجها في قلب الراهنية العالمية. فالعالم اليوم في طور البحث عن مُثُل عُليا مشترَكة بوسعها أن توحِّد البشر، مثل عُليا حضارية تفتح أمامهم آفاقاً جديدة من أجل السلام، والوفاق، والحرية، والإبداع. وكيف الوصول إلى مثل هذا الهدف السامي إن لم يكن ذلك بالتمحيص في التجارب الحضارية الماضية، والأساليب والطرق المختلفة التي استعملها الإنسان في مختلف أطراف الأرض وفي مختلف المجتمعات والعصور من أجل الارتقاء بالحضارة في جميع جوانبها ومحتوياتها.

كان من حظِّي أن اشتغلت منذ أزيد من ثلاثين سنة في دراسة أعمال شخصيةٍ فذة في ميدان البحوث الحضارية، أعني ابن خلدون، وهو يُعَدُّ بدون أي مجازفة المفكرَ الأول في تاريخ الفكر الإنساني الذي جعل من المجتمع والحضارة موضوع نشاط علمي بكل معاني الكلمة، منهجياً ومن حيث المفاهيم، بحيث لا يسع الناظر في أعماله التاريخية والاجتماعية والأنثربولوجية إلا أن يعترف باندهاش كبير أن الطرق والمناهج العلمية ذاتها التي يستخدمها المؤرخ وعالم الاجتماع والباحث في الأنثربولوجيا اليوم تكاد تكون هي التي كانت مستعملة من لدن ابن خلدون قبل ستة قرون. ولا شك أن البحث في فكر ابن خلدون، بإعطائنا مفاتيح لفهم النظام الحضاري للمجتمعات العربية والإسلامية في الماضي، سوف لا يساهم فقط في إدراك الواقع الحضري العربي الإسلامي في الحاضر، وبالتالي في تقدمه ونموه، بل سيساهم كذلك من خلال الأسئلة ذات الطابع الكوني التي وضعها ابن خلدون في فتح آفاق جديدة للحضارة الإنسانية جمعاء.